- **محاضرات فى الأدب السلجوقى للفرقة الثانية فارسى (آداب سوهاج – الالسن)**

المحاضرة الثالثة

دكتور / عبد الواحد أحمد اسماعيل بدران

من قوال النبى عليه السلام

(قيدوا العلم :قال شخص وكيف تقييده (قيل وما تقييده)؟, قال كتابته –

(علم را در بند كنيد , كسى پرسيد , چگونه باشد دربند كردن آن ؟

فرمود آنرا بنويسيد .)

<u>نظام الملك و كتابه سياست نامه:</u>

نظام الملك هو أبوعلى حسن بن اسحق الطوسى الشهير بنظام الملك هو قَوَّام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحـٰق بن العباس نظام المُلك الطوسي، ولد في بلدة صغيرة من نواحي طوس تسمى نوقان سنة أربعمائة وثمان للهجرة، وكان من أولاد الدهاقين (الفلاحين) الذين يعملون في البساتين، حفظ القرءان واشتغل في الفقه منذ صغره على مذهب الإمام الشافعي.

سمع الحديث بأصبهان من محمد بن علي بن مهريزد الأديب، وأبي منصور شجاع ابن علي بن شجاع، وسمع بنيسابور من الأستاذ أبي القاسم القشيري، وببغداد من أبي الخطاب بن البطر وغيره، وجلس للإملاء ببغداد في مجلسين أحدهما بجامع المهدي بالرصافة، والآخر بمدرسته. وكان يقول في ذلك: إني لست أهلًا لما أتولاه من الإملاء ، لكني أريد أن أربط نفسي على قطار نقلة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولما ترك أباه رحل إلى غزنة حيث خدم في الديوان السلطاني، ثم ءال به الأمر إلى أن خدم أبا علي بن شاذان وزير السلطان ألبَ أرسلان الذي أحبه ورأى منه العفة والأمانة والتقوى، وأوصى به السلطان عند وفاته، فقربه السلطان إليه ونصبه وزيرًا مكانه.

ولما مات ألب أرسلان سعى نظام الملك في توطيد المملكة لولده ملكشاه فنجح في ذلك، وصار الأمر كله للوزير وليس للسلطان إلا اللباس والصيد. وبقي الأمر عشرين سنة أمضاها ما بين تدبير لشؤون المملكة وبناء المدارس وخدمة العلماء وفتح بلاد وقضاء حوائج الرعية من أصحاب الفاقات والمُتَظَلِّمين.

<u>مناقبه</u>

ذكر ابن خلكان أن مجلس الوزير كان عامرًا بالفقهاء والصوفية، وأنه كان كثير الإنعام على

الصوفية. ولما سئل عن سبب ذلك قال: أتاني صوفي وأنا في خدمة بعض الأمراء، فوعظني وقال: اخدم من تنفعك خدمته ولا تشتغل بمن تأكله الكلاب غدًا، فلم أعلم معنى قوله حتى شرب ذلك الأمير مُسْكرًا وخرج في الليل، وكانت له كلاب كالسباع تفترس الغرباء، فوثبت عليه ومزقته وكثرت محاسن أفعاله وعَمَّ عدله حتى تناقلت ذلك الألسنة، وصار بابه محط الرحال، وأخذ في بناء المساجد في البلاد، وبنى المدارس في بغداد وبلخ ونيسابور وهراة وأصبهان والبصرة ومرو وءامل طبرستان والموصل، وكثرت البيمارستانات (المستشفيات) التي بناها للمرضى.

هذا وقد غزا ففتح عدة بلاد من ديار بكر وربيعة والجزيرة وحلب ومنبج وبلاد ما وراء النهر. ومن مناقبه أنه ما توضأ إلا وأتى بنوافل الوضوء، وكان لا يقرأ القرءان مستندًا إعظامًا له، وكان يستصحب المصحف معه أينما توجه، وإذا أذن المؤذن أمسك عن كل شغل هو فيه وأجابه، وكان يصوم كل اثنين وخميس، ولا يمنع أحدًا من الدخول عليه في وقت الطعام ولا غيره، فقد ذكر تاج الدين السبكي أن امرأة دخلت عليه وهو قاعد للطعام فزجرها بعض الحُجَّاب، فالتفت الوزير إليه وقال له: إنما أريدكَ وأمثالَك لإيصال مثل هذه، ثم أدخلها عليه ونظر في حاجتها. وهو أول مَنْ فَرَّقَ الإقطاعات على الجند، فكان يوزع لكل مُقْطَعٍ قرية أو نحوها كي لا تكون الأرض المقتطعة شاسعة بحيث يحدث عجز في عمارتها، فكان ذلك سببًا في عمارة العديد من البلدان وكثرة غلاتها.

خُلقُه

لقد اشتهر الوزير نظام الملك بكثرة الحِلم والإغضاء، فمما يروي عنه تاج الدين السبكي أن بعض أصحاب الحوائج قد رمى إليه رقعة ليوقعها، فأتت على دواته فأوقعتها وكان بها مداد كثير، فوقع المداد على عمامة الوزير وثيابه فاسودت، فلم يغضب لذلك ولم يتغير، فأخذ الرقعة ووقع عليها فتعجب الحاضرون من ذلك أشد العجب.

ومما يظهر شدة تواضعه على ما به من الملك والسلطان، حوادث كثيرة منها ما حدث معه حين دعا إلى مأدبته عددًا من الأعيان والفقراء، وكان من بينهم رجل من الأعيان يدعى العميد خليفة، فجلس إلى جانبه رجل فقير مقطوع اليد اليسرى، فتنزه العميد من مؤاكلة هذا الفقير الذي يأكل بيساره، فقال الوزير نظام الملك للفقير: إن العميد رجل يستنكف عن مؤاكلتك، فتقدم إليَّ، فأجلسه إلى جانبه وجعل يؤاكله.

ثناء العلماء :

لما جرى في الآفاق ذكره وصيته ومآثره ومكارمه، مدحه الكثيرون ممن عاصره أو جاء بعده، من هؤلاء صاحب «طبقات الشافعية الكبرى» تاج الدين السبكي الذي قال في معرض ترجمته إياه: «الوزير الكبير العالم العادل أبو علي الملقب نظام المُلك، وزير غالى الملوك في سمعتها وغالَبَ الضراغم، وكانت له النصرة مع شدة منعتها، وضاهى الخلفاء في عطائها وباهى الفراقد

كأنه فوق سمائها، ملك طائفة الفقهاء بإحسانه، وسلك في سبيل البر معهم سبيلًا لم يعهد قبل زمانه. هو أشهر من بنى لهم المدارس، وشيد أركانهم. لولاه خيف أن يكون كالطلل الدارس... طمس ذكره مَنْ كنا نسمع في المكارم من الملوك خبره، وغرس في القلوب شجرات إحسانه المثمرة، دولته كلها فضل وأيامه جميعها عدل، ووقته وابل مغدق، ومجلسه بجماعة العلماء

وفي خطبة «العُباب» لإمام الحرمين الجويني في مدح الوزير كلام عذب جميل جاء فيه: «ومؤيد الدين والدنيا، ملاذ الأمم، مستخدم للسيف والقلم، ومن ظَلَّ ظِلُّ الملك بيُمْنِ مساعيه مدودًا، ولواء النصر معقودًا... وتحصنت المملكة بنصله، وتحسنت الدنيا بإفضاله وفضله، وعَمَّ بره ءافاق البلاد، ونفى الغي عنها بالرشاد، وجلى ظلامَ الظلم عدلُهْ، وكسر قفار الفقر بذله، وكانت خطة الإسلام شاغرة وأفواه الخطوب فيها فاغر

أما أبو الوفاء ابن عقيل فكان من جملة من بالغ في مدحه والثناء عليه فقال في «الفنون» ما نصه: «أبهرت العقول سيرته جودًا وكرمًا وعدلاً، وأحيا لمعالم الدين بناء المدارس، ووقف الوقوف ونعش من العلم وأهله ما كان خاملًا مهملًا في أيام مَنْ قبله، وفتح طريق الحج وعَمَرَهُ وعَمَرَ الحرمين واستقام الحجيج، وابتاع الكتب بأوفر الأثمان وأدار الجرايات للخُزَّان، وكانت سوق العلم في أيامه قائمة والنعم على أهله دائرة».

وفـاته

بلغ الوزير الصالح نظام المُلْك الطوسي من الزهد والتقوى وأعمال البر وحسن الخُلُق مبلغًا عظيمًا جعل المسلمين عامتهم وعلماءهم وصوفيتهم يحبونه ويعظمونه ويُجِلُّونه، فكان ذلك سببًا في أن حَسَدَهُ السلطان ملكشاه بن ألبَ أرسلان السلجوقي وحاول غير مرة أن يُقيله من منصب الوزارة، ولكن قوة الوزير وهيبته وتقواه وكثرة مناصريه حالت دون ذلك، حتى كانت ليلة العاشر من شهر رمضان سنة أربعمائة وخمس وثمانين للهجرة، وهي الليلة التي كيد له فيها فأُرسل إليه غلام ديلمي، فدنا منه حتى ضربه بسكين في صدره، فحُمل إلى مضرِبه فمات .

ترجمة نماذج من كتابه سياست نامه مستعينا بترجمة حسين بكار:

حكايت :گويند بازرگانى بمظالم گاه سلطان محمود آمد , و از پسر او مسعود بناليد , و تظلم كرد , گفت : مردى بازرگانم , و از مدت درازشد تا اينجا مانده ام , و ميخواهم كه بشهر خويش روم , نميتوانم رفت , كه پسرت شصت هزار دينار كالا از من بخريده است , و بها نميرساند , خواهم كه امير مسعود را با من بقاضى بفرستى , سلطان ازسخن بازرگان دلتنگ شد , پيغامى درشت بمسعود فرستاد , و گفت در حال خواهم كه حق وى بوى رسانى يا بر خيزى و با وى

بمجلس حكم روى , تا آنچه از مقتضاى شرع واجب آيد , بفرمائيد , مسعود انـدر مانـد , خـازن را گفت : بنگر تا در خزينه نقد چنـد اسـت , خزينـه دار رفـت , قيـاس كـرد , و آمـد, و گفـت : بيست هزار دينارهست , گفت : بر گيـر , و بنزديك بـازرگان بـر, و تمامـت مـال را سـه روز زمان , و مهلت خواه تا برسانم , رسول را گفت :سـلطان را بـگوى كـه بيسـت هـزار دينـار در حال بداده ام و تمامـت حـق وى تـا سـه روز ديگر بـوى بـدهم , ومـن قبـاب وسـيده بـر , پاى ايستاده ام , تا سلطان چه فرمايد كه بمجلس قضا روم يا مال بازرگان تمامت بوى دهـم , رسـول بيامد , و چنين گفت : سلطان محمود گفت بحقيقت بدان كه روى من نبينى تا مال بازرگان بتمام و كمال نرسانى , مسعود نيز سخن نيارسـت , گفـت و بهرجانـب كـس فرسـتاد , و از هـر كـس قرض خواست ,چون نماز ديگرشد , شصت هـزار دينـار ببـزرگان رسـيده بـود , و ايـن خبـر باطراف عالم برسيد , و بازرگانان رسيده بود , و با يكديگرحكايت كردند .

الترجمة :

يقال : ان تاجرا أتى بلاط السلطان محمود , وتظلم اليه من ابنه مسعود فى حسرة وتوجع، وقال : " أنا رجل تاجر, مضت علىّ مدة هنا , أرغب فى العودة الى مدينتى لكننى لاأستطيع, لأن الأمير مسعود اشترى منى بضاعة و أقمشة ب ستين ألف دينار دون أن يدفع ثمنها , أريد أن ترسلنى أنا و الأميرمسعود الى القاضى ", رق قلب (تضايق) السلطان محمود لكلام التاجر, و بعث برسالة شديدة إلى مسعود , أمره فيها " أريد أن تقضى له حقه الآن , و إلا تعال لتمثل معه أمام القاضى , لتطبق عليكما أحكام الشريعة, و مضى التاجر إلى مجلس القاضى , فى حين قصد الرسول مسعود , و أدى الرسالة ,و أسقط بيد مسعود , فقال للخازن : أنظر ما فى الخزانة من الذهب نقد ا , فذهب و نظر وعاد ,وقال : لا يوجد أكثر من عشرين ألف دينار , قال مسعود : خذها , و أذهب بها إلى التاجر, و استملهله ثلاثة أيام لباقى المبلغ , ثم قال لرسول السلطان : قل للسلطان إننى دفعت إلى الرجل عشرين ألف دينار فى الحال , و سأعطيه حقه كاملا بعد ثلاثة أيام , وإننى الآن لأقف مرتديا قبائى , و منتعلا حذائى فى إنتظار ما يأمر به السلطان , فذهب الرسول ,لكنه عاد إلى مسعود مرة أخرى , و قال : يقول السلطان : إما أن تتوجه إلى مجلس القضاء , وإما أن تدفع مال التاجر إليه ، و أعلم أنك لن تر لى وجها ما لم تؤد حق الرجل إليه كاملا , و لم يجرؤ مسعود على أن يضيف إلى كلامه السابق حرفا , و أرسل رسلا إلى مختلف النواحى يطلب قرضا , فما إن حان وقت صلاة العصر , حتى وصلت الى التاجرالستون ألف دينار, ولما تناهى هذا إلى أطراف العالم , (جعل التجار ينهالون على غزنين من الصين و خطا و مصر و عدن

يحملون أليهاما فى العالم من تحف و نفائس , أما ملوك هذا الزمان, فلو أمر أحدهم فراشا أن امثل فى مجلس القضاء مع عميد بلخ أو رئيس مرو , لما صدع لأمره أو أعاره ادنى اهتمام.)

التحليل (ترجم ثم حلل) :

مثال

گويند بازرگانى بمظالم گاه سلطان محمود آمد :

الترجمة: يقال أن تاجرا ذهب الى دار المظالم الخاصة بالسلطان محمود

– التحليل :

گويند :فعل مصرف فى زمن المضارع الالتزامى مع الضمير ايشان (يعطى معنى المبنى للمجهول - بازرگانى : اسم نكرة – كلمة تحتوى على حرف تختص به اللغة الفارسية

بمظالم گاه : جارو مجرورمفعول به غير صريح,

- آمد :. فعل مصرف فى زمن الماضى المطلق مع الضمير ااو من المصدر آمدن

.....

.....

.....

و از پسر او مسعود بناليد ,و تظلم كرد

:.....

.....

.....

.....

, گفت : مردى بازرگانم , و از مدت درازشد تا اينجا مانده ام , و ميخواهم كه بشهر خويش روم , نميتوانم رفت:

.....

.....

.....

.....

, که پسرت شصت هزار دینار کالا از من بخریده است , و بها نمیرساند , خواهم که امیر مسعود را با من بقاضی بفرستی ,

.....

.....

.....

.....

سلطان ازسخن بازرگان دلتنگ شد , پیغامی درشت بمسعود فرستاد

.....

.....

.....

.....

و گفت در حال خواهم که حق وی بوی رسانی یا بر خیزی و با وی بمجلس حکم روی , تا آنچه از مقتضای شرع واجب آید , بفرمائید , مسعود اندر ماند , خازن را گفت : بنگر تا در خزینه نقد چند است , خزینه دار رفت , قیاس کرد

.....

.....

.....

.....

.....

و آمد, و گفت : بیست هزار دینارهست , گفت : بر گیر , و بنزدیك بازرگان بر, و تمامت مال را سه روز زمان , و مهلت خواه تا برسانم , رسول را گفت :سلطان را بگوی که بیست هزار دینار در حال بداده ام و تمامت حق وی تا سه روز دیگر بوی بدهم

.....

.....

.....

.....

ومن قباب وسیده بر , پای ایستاده ام , تا سلطان چه فرماید که بمجلس قضا روم یا مال بازرگان تمامت بوی دهم , رسول بیامد , و چنین گفت : سلطان محمود گفت بحقیقت بدان که روی من نبینی تا مال بازرگان بتمام و کمال نرسانی , مسعود نیز سخن نیارست

.....

.....

.....

.....

.....

گفت و بهرجانب کس فرستاد , و از هر کس قرض خواست ,چون نماز دیگرشد , شصت هزار دینار ببزرگان رسیده بود , و این خبر باطراف عالم برسید , و بازرگانان رسیده بود , و با یکدیگرحکایت کردند .

.....

.....

.....